وصف بلاد العرب الجنوبية

التي يسميها اليونان العربية السعيدة

يراد بالعربية السعيدة اليمن وما جاورها وسميت بذلك لكثرة خيراتها بالنسبة الى البادية في الشمال فكانهم يريدون بها بلاد العرب العامرة أو الخضراء ويحدها عندهم خليج العجم من الشرق وبحر العرب من الجنوب والبحر الاحمر من الغرب — ويسمون خليج العرب — ومن الشمال البادية وهي بادية الشام والعراق والعربية الحجرية (بلاد بطرا) فيدخل في اسم العربية السعيدة اليمن وحضرموت، والشحر، وعمان، واليمامة ونجد

وأما العرب فيريدون باليمن الجزء الجنوبي من جزيرة العرب وهو يقسم عند العرب الاقدمين الى ٤٨ مخلاف والمخلاف ينقسم الى مدن وقرى، ويوجد فيه الاودية والجبال والسدود، وقد فصل الهمداني كل مخلاف بقراه وأوديته وجباله في كتابه (صفة جزيرة العرب)

ما قاله اليونان عن تاريخ اليمن لم يدون اليونانيون وسواهم من أمم التاريخ كتابا في تاريخ اليمن أو تاريخ غيرها من بلاد العرب ولكنهم ذكروه عرضاً في أثناء كلامهم في الجغرافية العامة والرحلات وغيرها. واكثر اليونان ذكرًا لبلاد العرب سترابون وبلينيوس وبريليوس وبطليموس، ذكر كل منهم مدنا وأمما وأحوالا أخرى من أحوال بلاد اليمن بعضها يوافق ما ذكره العرب والبعض الآخر يخالفه. وذكروا مدنا وأقواما ولم يعرفها العرب اي انها لم ترد في تاريخهم أو جغرافيتهم. وأهم هؤلاء الاقوام هم [المعينيون] وذكروا الطرق التجارية ووصفوا الاحوال الاجتماعية فترى بين ما ذكره اليونان من الامم والمدن امما لم يذكرها العرب أو ذكروها عرضا بما لا يستحق الذكر والمعينيون لم يعرفهم العرب وهم عند اليونان أمة عظيمة ذات تجارة واسعة وشأن كبير ومثلهم [القوريون] و[الجبائيون]

ومن المدن التي نوهوا بها [مأرب] ولم يذكرها العرب الا في عرض الكلام عن سدها وانفجاره

كانت اليمن في أصل نظامها تقسم الى [محافد] وهو يشبه نظام الاقطاع في الاجيال الوسطى لاوربة وكانت الاقيال [1] في اليمن يتعاطون التجارة وتتوسط بلاد اليمن والهند والحبشة ومصر والشام والعراق كانوا ينقلون التجارة بين هذه البلدان بعد دخولها الى جزيرة العرب بالقوافل بطرق خاصة

الدولة المعينية

تنبه العلماء الى هذه الدولة كما ذكره اليونان قبلها فقال استرابون في كلامه عن بلاد اليمن «يشمل القسم الجنوبي من جزيرة العرب اربعة شعوب: المعينيون وعاصمتهم [قرنا] [2] والسبأيون وعاصمتهم [مأرب] «وذكر في مكان آخر أن المعينيين يحملون التجارة الى [بطرا] مدينة الانباط. وذكر بليني وس ان المعينيين يقيمون في بلاد كثيرة الغابات والاغراس، وذكرهم ايضا ديونيوس و بطليموس واطروا سلطتهم وسعة تجارتهم. ولم يكن العلماء يعرفون [معين] فذهب بعضهم الى ان المراد بلفظة «معين» منى وهو — بقرب مكة — وقال آخرون غير ذلك حتى ووفق المستشرق [هالفي] الى ارتياد بلاد الجوف الجنوبي شرق صنعاء واكتشف انقاض معين» وقال الهمداني في كتاب الاكليل «محافد اليمن: مراقش، ومعين، وهما بأسفل جوف الرحب «ولا يظهر انها كانت دولة حرب وفتح بل كانت دولة تجارة مثل اخواتها القتبانيين على شواطئ سوريه ردولة الانباط في بطرا «واكثر دول اليمن على هذه القاعدة اي تجارية. وكانت طرقها التجارية ممتدة في اواسط جزيرة العرب بين تلك البحار وانتشرت سيادتهم ومستعمراتهم الى اعالي الحجاز شمالا بدليل ماوقفوا عليه من النقوش المعينية في الملاء قرب وادي القرى — وفي الصفاء وفي حوران وغيرها

«١» الاقيال [illegible]

«٢» نقل اصلها [illegible]

الدولة السبأية

لم يعلم الوقت الذي تأسست فيه الدولة السبأية ولكنه قد ثبت انهم أنشأوا في اليمن دولة كبرى جاء ذكرها في أخبار أشور منقوشاً في آجرة للملك [سرجون] الثاني سنة ٧٠٥ قبل الميلاد ذكر فيها انه أخذ الجزية من [يثعمر] السبأي. فيدل هذا القول على وجود السبأيين في بلاد العرب في القرن الثامن قبل الميلاد . ولكن الراجح عند العلماء اليوم ان سرجيون لم يصل بفتوحه الى اليمن والظاهر ان السبأيين كانوا يدفعون الجزية عن تجارتهم في شمال جزيرة العرب حتى يؤذن لهم بالمرور الى شواطئ البحر المتوسط وخصوصاً الى غزة لانها فرضة تجارية قديمة . وقد اتسم ملكهم ولا يراد بسمة الملك انهم دوخوا البلاد كما فعل اليونان والرومان او كما فعل العرب بعد الاسلام فان سبأ ليست دولة فتح بل هي دولة تواصل وتجارة ولا تجد للفتح ذكرا في آثارها الا قليلا خلافاً للاشوريين والمصريين معاصريها فانك لاتكاد تقرأ على آثارهم غير قولهم : فتحت ، وغلبت وحملت ، الغنيمة . وأما السبائيون فأكثر ما وصل الينا من أخبارهم : بنيت ، ووقفت ، ورممت . وانما يراد بسمة ملكهم نشر نفوذهم بواسطة تجارتهم وذكرت مملكة سبأ في التوراة أيام سليمان في القرن التاسع قبل الميلاد ، ويتضح من ذلك انهم أقدم من مملكة سليمان أيضاً

حضارة اليمن القديم

بعد ماتحقق ان دولة حمرابي عربية علم ان العرب من أسبق الامم الى الحضارة والمدنية لانهم أنشأوا الدول وشادوا المدن ونظموا الحكومات وسنوا الشرائع وبنوا المدارس والهيا كل ورقوا الهيئات الاجتماعية الرقية شأن المرأة منذ اربعة آلاف سنة

وتقتصر هنا على مدنية عرب اليمن . وقد رأيت انهم كانوا أهل حضارة ودولة لا تقل عن أدول معاصريهم في أشور وفينيقية ومصر وابتنوا المدن وشادوا القصور والهيا كل وتبسطوا في العيش ، لكن تمدنهم لم يكن حربياً كتمدن الاشوريين والفرس والمصريين بل كان تجارياً كتمدن الفينيقيين فكانوا واسطة التجارة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب فانقطعوا لاعمالهم وتفرغوا لاستثمار

أرضهم بغرس الشجر وزرع الحبوب وحفر المناجم واصطناع العطور والاطياب وركوب القوافل في القفار والسفن في البحار لنقل السلع وتوالت أجيال منهم كانوا هم وحدهم تجار العالم كاخوانهم الفينيقيين . وقد تعاصروا حينا وتعاونوا على ذلك دهرا طويلا

على ان التمدن لم يرد له ذكر في كتب العرب الا قليلا وانما ذكره اليونان عن التاريخ القديم وا كتشفه العلماء من آثار المدن وما قرأوه على اطلالها من اخبارها وقلما كانوا يعتنون بتنظيم الجند لقلة الحرب والفتوح وانما كانوا يجمعون الرجال في استخدامهم لبناء المدن او القصور او انشاء السدود . وقد ضرب اليمانيون نقودا نقشوا عليها صور الملوك واسماءهم واسماء المدن التي ضربت فيها بالحرف المسند وزينوها برموز سياسية او اجتماعية كصورة البوم والصقر او رأس الثور رمزا الزراعة أو صورة الهلال وهو رمز ديني عندهم . وكانوا يركبون والمركبات تجرها الخيول أو الافيال

كانت الامة في اليمن مؤلفة من اربع : طبقات الجند المسلح لحفظ النظام . والفلاحون لزراعة الارض ، والصناع ، والتجار ، ولكل فئة حدود لا تتعداها ولا ينتقل احد منها الى سواها

الصناعة

ليست جزيرة العرب بلادا صناعية وانما صناعتهم تحضير بعض اصناف التجارة والبخور واللبان والطيوب وغيرها وكان ذلك مشهورا عنهم بين الامم القديمة لا يشاركهم فيه احد

قال هيرودتس : و بلاد العرب فيها وحدها الكندر والمر والقرفة والدارصيني واللاذن ، والعرب يجنون كل هذه الاشياء و بلاد العرب زكية الرائحة حيث ماسرت . .

الزراعة

من عجب بلاد العرب ير ان بلاد الصينيين والسبأيين قد تغيرت معالمها

فيستغرب ما يسمعه عن ثروة تلك الامم وسعة سلطانها إذ لا يرى فيها الا قليلا من الناس وكانت على عهد ذلك التمدن بساتين ورياضا فيها الافراس من الاشجار والرياحين والحنطة والازهار، وكانت الزراعة في رقي حسن مع مشقة الري في بلاد لا أنهر فيها الا ما يخزنونه بالسدود من أمطار الصيف ،فبلغ من رغبتهم في العمران وعلو همتهم انهم أنشأوا سدودا كالجبال يحجزون بها المياه في الاودية حتى ترتفع ويسقون بها المرتفعات ويصرفون الماء اليها من نوافذ حسب الحاجة كما يفعل بخزانات هذه الايام ، فالعرب أول من اصطنع الخزانات وهي السدود وأعظمها سد [مأرب] وسنذكره

وذكر [استرابون] أن بلاد سبإ أخصب بلاد العرب وعد من محصولاتها المرّ والبخور والقرنفل والبلسم وسائر العطريات فضلا عن النخيل والنابق

ووصف الهمداني [وادي ظهر ؟] باليمن وقد شاهده فذكر ان فيه نهرا عظيما يسقي جنبات الوادي وعليها من الاعناب نحو عشرين نوعا وفيه أصناف الفواكه الاخرى

المعادن

التعدين أي استخراج المعادن من بطن الارض وقد اشتهرت بلاد العرب بمعادنها وجواهرها عند القدماء وان ظهر ذلك غريبا الآن لتقلب الاحوال وتحول الازمان، ولكن التاريخ أصدق شاهد على ما كان في جزيرة العرب من الثروة في جوفها فضلا عن سطحها . كان فيها كثير من مناجم الذهب والفضة والحجارة الكريمة وكان ذلك من أهم أسباب طمع الفاتحين في ذلك العهد وقد شبهها بعضهم بكاليفورنيا هذا الزمان لكثرة مناجمها ، وأقدم هذه المناجم في بلاد [مدين] وفاء شهرة واسعة في التاريخ القديم حتى ألف بعضهم كتبا في معادنها وذهبها . وذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب وياقوت في معجم البلدان وغيرهما كثيرا من مناجم الذهب بعضها في اليمن والبعض الآخر في اليمامة .منها معدن [ثمب] في ديار بني كلاب ، ومعدن [بيشا] ومعدن [قصاعة] في اليمن و[ذهب خولان] الوارد ذكره في التوراة باسم حويلة. في اليمامة وكثير من المعادن خصص لها الهمداني فصلا سماه (معادن اليمامة) وهي معدن الحسن ، وهو معدن ذهب غزير ومعدن [الحفير] بناحية [عمية] وهو معدن ذهب غزير

أيضا ومعدن [الضبيب] عن يسار [هضب القليب] ومعدن [الثنية] ثنية ابن عاصم الباهلي ومعدن [الموسجة] ثم معدن [شمال الفضة والصفر] ومعدن (ياسر) ومعدن (العقيق) ومعدن (المحجة) ومعدن (السمق) بين (فيميه) ومعدن (المجيرة) ومعدن (بني سليم) ومعادن كثيرة أخرى.

وقول العرب « معدن كذا » يراد به معدن الذهب الا اذا عرفوه بالفضة أو الصفر أو غيرها . وفي بلاد العرب سوى مناجم الذهب مناجم الجواهر الاخرى كمعدن الفضة في [الرضاض] الذي لا نظير له وفي [نقم] معدنا فصوص [اليقران] ويبلغ المثقال منها مرارا كثيرا وهو ان يكون وجهه أحمر فوق عرق أبيض فوق عرق أسود واليقران ألوان ومعدنه بجبل (أنس) و(السوانية) من سمران واد جنب صنعاء وفيه أيضا فص أسود عرق أبيض ومعدن (بشهارة وعيدان) من بلاد (خولان) ، والبلور يوجد في مواضع فيها وأشياء أخرى يطول شرحها وهذه الاشياء لا يوجد لها نظير لا في بلاد الهند والهندي بعرق واحد وليس بثلاثة ، دع مغاوص اللؤلؤ بالبحرين

الاسداد

الاسداد هي جدران ضخمة كانوا يقيمونها في عرض الاودية لحجز السيول ورفع المياه لري الاراضي كما يفعل أهل التمدن الحديث في بناء الخزانات وانما عمد العرب الى بناء الاسداد لقلة المياه في بلادهم مع رغبتهم في احياء زراعتهم فكثرت بكثرة الاودية حتى تجاوزت المئة وكانوا يسمون كل أسد باسم خاص من أكبر هذه الاسداد سد [مأرب] و[ربوان] و [شحران] ..ور لحج) الخ

الحضارة

أهل اليمن حضر من أقدم أزمانهم فهم أهل مدن وقصور ورياش لبسوا الحز وافترشوا الحرير واقتنوا آنية الذهب والفضة واغترسوا الحدائق . قال [أغاثر سيدس] وللسبأيين في منازلهم مايفوق التصديق من الآنية والماعون على اختلاف أشكالها من الفضة والذهب، وعندهم الاسرة والموائد من الفضة. وفي رياش من أفخر الانسجة وأغلاها ،وقصورهم قائمة على الاساطين المحلاة بالذهب أو المنزلة بالفضة ، يعلقون على أفاريز منازلهم وأبوابها صفائح الذهب مرصعة بالجواهر ويبذلون في تزيين

قصورهم أموالا طائلة لكثرة ما يدخلون في زخرفها من الذهب والفضة والعاج والحجارة الكريمة

ذكر الهمداني في وصف قصر [كوكبان] في القرن الرابع الهجري انه كان موزر الخارج الفضة وما فوقها حجارة بيضاء، وداخله عمد بالعسجد والجزع وسقوف الجواهر

تاريخ البلاد العربية الحديث

قد لخصنا تاريخ البلاد العربية القديم على قدر ما يسمح به المقال والآن نبين حالتها الحاضرة وسبب انحطاطها فنقول :

ان ملوك اليمن اعتنقوا قديما الديانة اليهودية ونشروها في بلادهم فلما تنصر امبراطور الرومان البيزنطيين ونشروا ديانتهم في سورية ومصر وأرادوا ان يوسعوا نفوذهم بواسطة ديانتهم النصرانية أرسلوا الى الحبشة قسوسا نصرتها وأرادوا ان يمدوا نفوذهم الى بلاد العرب فنزلوا في عدن ونصروا أهاليها ثم تخطوا الى [نجران] و[حضرموت] ونصروهما وبنوا في نجران مزارا أو حجا عرف [بكعبة نجران] فيه القسيسون والرهبان. وآلت حكومة [حمير] اليهودية في أوائل القرن السادس للميلاد الى ملك منهم اسمه [ذونواس] كان شديد التعصب لليهودية فغزا أهالي نجران فحصرهم ثم انه ظفر بهم فخدّلهم الاخاديد وعرض عليهم اليهودية فامتنعوا فأحرقهم بالنار وأحرق الانجيل وهدم بيعتهم ثم انصرف الى اليمن. فلما بلغت هذه الاخبار ملك الروم أرسل الى ملك الحبشة وأمره أن يغزو أهالي اليمن وينتقم من اليهود فجهز لهم جيشين أفناقرجوا الى اليمن وبعد معارك يطول شرحها انتصر الاحباش النصارى على اليهود وأفنوهم، وانتقل (سيف بن ذي يزن) وتوجه الى كسرى وهو من الاسرة المالكة فلم ينجد كسرى فأمده بالرجال في المراكب وخرجوا في (ضفار) فلما سمع الاحباش قدوم سيف بالفرس قابلوهم فوقعت معارك انهزمت فيها الاحباش فأفنوهم وأفنوا كل من تنصر من أهل اليمن ثم مات سيف بن ذي يزن وخلفه والٍ من قبل كسرى أنو شروان

وفي هذه المدة ظهرت الديانة الاسلامية وأسلم الوالي الفارسي وأهل اليمن الا

قليلا منهم بقي على اليهودية الى الآن فلما تولى عمر بن الخطاب (رض) الخلافة وابتدأ يجهز لغزو الروم والفرس أمر عماله في البلاد العربية أن يسوقوا كل من يقدر على حمل السلاح وكل من يحسن الخطابة والكتابة فصاروا يسوقون الامدادات متتابعة الى هذه دولة بني أمية ، من أجل ذلك وما تقدمه من حروب الاحباش والفرس خلت البلاد العربية من اليد العاملة وأهملت الزراعة وبناء السدود ، فهذا هو سبب الانحطاط

فبلاد العرب الآن تراجع اليها شيء من القوة حسب التناسل وعدد أهل الجزيرة الآن لا يقل عن ١٤ مليونا ولاهمال العلم والتعليم في الجزيرة وتنافس الامراء فيما بينهم أهمل أمر الزراعة والصناعة

ويوجد الآن في الجزيرة خمس حكومات مستقلة في الحجاز ونجد واليمن وعسير ومسقط ، وبين أمراء هذه البلاد شيء من التنافس فلو قيض الله لقادة أفكار العرب ان يسعوا في التوفيق بينهم على شرط ان يكون كل مستقلا في محله ويوحدوا سياستهم وجنديتهم كما هو حاصل في الولايات المتحدة أو في ألمانية وينشروا المعارف في بلادهم ويعنوا بالزراعة مع اعادة السدود كما كانت سابقا ويبحثوا عن المناجم ويعنوا بزراعة القهوة التي لا يوجد مثلها في البلاد الاخرى فانها تجلب الربح العظيم للبلاد كالقطن بالنسبة لمصر . وفي بلاد اليمن يزرع أنواع الحبوب والنخيل والفواكه

والحاصل ان البلاد العربية يمكن ان تسترجع قوتها عن قريب اذا قيض الله لها حكومة عالمة ولا يقوم بهذا الا السوريين فان سورية عند العرب هي العين التي يبصرون بها وسورية من الاراضي المقدسة والعرب يحترمون أهالي سورية ويجلونهم . ولو عنى السوريون بخدمة الجزيرة فنظموا هيأة لارشاد الامة العربية بالنصح للتوفيق بين الامراء وازالة سوء التفاهم والحسد (لان وقتنا هذا وقت عمل وليس وقت مفاخرة وحسد) لوجدوا آذانا صاغية من أهالي البلاد لان العرب صاروا يشعرون بما هو محيط بهم ولو اجتهد السوريون لمد السكة الحديدية من المدينة الى صنعاء لارتباط البلاد والامن وتسهيل التجارة والانتقال لتم المقصود ؟

عبد الله المنيرة